ظاهرة العدول في شعر نزار قباني
(مجموعة قصائد مغضوب عليها نموذجا)

د. فوزية مولود علي خفافة ـ قسم اللغة العربية ـ كلية التربية العجيلات
جامعة الزاوية
fooziakafafa@gmail.com

الملخّـــــــــص:

يُعدُ العدول واحدا من أهم المبادئ، الجمالية و آليّات إحداث الفن في الشعر التي تقوم عليها الدراسات الأسلوبية الحديثة التي تقدم صورة تفكيكية للعمل الأدبي، و تحاول أن تُظهر معالم الجمال فيه و تدرس كل جوانبه، و ظواهره الأدبية.

ويعتبر الشّاعــر نزار قباني من الأصوات المتميزة في الشعر العربي خلال النصف الثاني من القرن العشرين حمله شعره مطالب نفسه وأمته ، فكان يدافع عن قضايا قومية من خلال قضايا شــعره وهي الأساليب التي أجــراه عليها ، وقد حاولت من خلال هذه الدراسة أن نكشف عن الوظائف الجمالية التي يفضي إليها التحليل الأسلوبي من خلال العدول الفني في شعر الشاعر نزار قباني، الأمر الذي استدعى منا اتباع منهج الاستقراء والاستنباط والوصف.

واعتمدت – في دراسة ظاهرة العدول مقوما فنيا لدى نزار قباني – آخر مجموعات شعره قصائد مغضوب عليه

المقـــدمـــــة:

تعد ظاهــرة العدول من أبرز ما قامت عليه الدراسات الأسلوبية الحديثة، والأسلوبية من المناهج النقدية التي تدرس العمل الادبي من الداخل، وهي تنطلق من مجموعة من المبادئ في تحليل العمل الادبي منها: العدول، فظاهرة العدول في الشعر العربي تفصح عن جمالية العمل الأدبي.

وشاعرنا (نزار قباني)خلف لنا شعرا تميز بالتنوع مضمونا و أسلوبا، فهو لم يترك موضوعا لم يطرقه وتنوعت أساليبه الفنية، و ظهر العدول بأنواعه المختلفة في شعره؛

وقد قمنا بدراسة البعض من أصناف العدول، كتطبيق مصطلح العدول في علوم البيان (التشبيه و المجاز و الكناية)، و أخترنا من تطبيق مصطلح العدول في علوم المعاني و التركيب (الحذف)، وعدلنا عن النظر في ظاهرة التقديم و التأخير وذلك لأن الدراسة تستوجب التقصير، فموضوعات العدول كثيرة، وديوان "قصائد مغضوب" عليها مليء بهذه الظواهر.

المبـــحث الأول ــ تعريف العــدول لغةً واصطلاحًا :

أولا- تعريف العدول لغة : العدول من المادة اللغــوية (ع- د- ل)، العدل هو من الألفاظ التـــي تدل على الأمــر ، وعلى ضده ذلك أن : ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضد الجور، ومن أسماء الله الحسنى(العدل)، ويقال فلان من أهل المعدلة ، أي : من أهل العــدل [1]، وفي هذا المعنى دلالة الانصاف و إحقاق الحق ؛ إذ أن العدل : كالعدالة و العدول والمعدلة ، وعدل يعدل فهو عادل وعدل.

والعــدل : أن تعدل الشــيء عن وجهه ، تقول: عدلت فلانا عن طريقه وعدلت الدابة إلى موضع كذا ، فإذا أراد الاعوجاج نفسه قيل : هو ينعدل أي : يعوج ، وانعدل عنه وعادل: اعوج [2] ، وعدل الفحل من الإبل إذا ترك الضراب ، و عدل بالله : أشرك ، أي : جعل لله شريكا ، و يقال: المعتدلة للناقة إذا سمنت، اعتدلت أعضاؤها. [3] ، وعدل عن الشيء يعدل عدلا وعدولا حاد عن الطريق، أي عدل بمعنى مال، و عدل إليه: يعني رجع إليه، و مال إليه معدل و معدول، أي : مصروف. [4]

وهنا اتضح أن العدول دلّ لغويا على إمكان الانزياح والميل عن الطريق، و الاعوجاج و الانصراف و التغيير.

ثانيا- تعريف العـــدول اصطلاحًا: ومن خلال ما تحمله كلمة العدول في معناها اللغوي من دلالة الانحراف و التغير و الميل اتضحت صلتها بالمعنى الاصطلاحي، في المجال الادبي ذلك" ان في العدول ميلا من صياغة الى أخرى"[5]، وهذا الميل "له اثره الفني الجمالي في النص الادبي فيعدل من صياغة الى أخرى لأحداث هذا الأثر الذي تنتجه الصياغة المعدول عنها"[6] أي : أن الكلمة تخرج عن معناها الحقيقي الى معنى آخر يفهم من خلال السياق الذي وردت فيه.

المبحـث الثـــاني ـ العدول في الصور البلاغيـــــة:

أولاً – التشبيه : يقـــوم التشبيه على مقارنة بين شيئين أو أكثر بحيث تكون هذه الصفة أكثر في المشبه به منها في المشبه ، وذلك هو الأصل ، إلا أن هـدف الشاعـر أن يحوّل التشبيه إلى " دعوة لولـوج المتلقي إلى ما ورائيات الأشياء أو توجه إليه ليحتضن في مواقف مختلفة الإيحاءات التي تظل تحـــوم فوق الصورة التشبيهية ، ليحاول اقتناص ما أمكنة من صورها المختلفة التي سيظل بعضها يرف بأجنحة حواليه ولا يستطيع أن يغيض عليها" (7)، والتشبيه من الصور البيانية، والتي يساعد على تكوين الصور الخيالية ، يقول الشاعر من قصيدة تقرير سري جدا .من بلاد قمعستان : (8)

باسم الملايين التي تساق نحو الذبح كالقطعان

باسم الذين انتزعت اجفانهم

و اقتلعت اسنانهم

و ذوبوا في حامض الكبريت كالديدان

باسم الذين مالهم صوت

ولا رائي

ولا لسان

سأعلن العصيان ...

انظر إلى التصوير، إلى هذه الصورة الحية ، حيث شبّه البشر الذين يموتون ظلما وقهرا بأنهم كقطيع الغنم ، فالعدول حدث في وجه الشبه وشكّل الصورة المؤلمة التي أراد الشاعر أن يوصلها للمتلقي ، و جاء التشبيه على وجه المجاز لا الحقيقة.

ومن العدول الرائع في هذه التشبيه من قصيدة التلاميذ يعتصمون في بيت الخليل بن احمد الفراهيدي، يقول نزار : (9)

أرتكب القصيدة المعاصرة

أخرج كالعصفور من مربعات الذاكرة

...

ألهث فوق الورق الأبيض كالمجنون

لقد شبه الشاعر نفسه بالعصفور، و شبه نفسه بالمجنون، فقد عدل عن ذكر وجه الشبه وترك للقارئ او المتلقي تخيل وجه الشبه.

و يقول في قصيدته التأشيرة: (10).

في مركز للأمن في احدى البلاد النامية

وقفت عند نقطة التفتيش

ما كان معي شيء سوى أحزانيه

كانت بلادي بعد ميل واحد

و كان قلبي في ضلوعي راقصا

كأنه حمامة مشتاقة للساقية

لقد شبها الشاعر قلبة و هو يخفق بسرعة فرحا بعودته لبلاده بحمامة انهكها العطش وتهفو إلى مكانها، و الشاعر هنا عدل عن ذكر وجه الشبه الذي تمثل في لهفة الاثنان لمكانهما .

وقد تتراكم التشبيهات مؤكدة على وجه الشبه كقول الشاعر في قصيدته لماذا يسقط متعب بن تعبان في امتحان حقوق الإنسان : (11)

مواطنون .. دونما وطن

مطاردون كالعصافير على خرائط الزمن ...

مسافرون دون أوراق

.....

نركض كالكلاب كل ليلة

من عدن لطنجة

من طنجة الى عدن

...

يا وطني المكسور مثل عشبة الخريف

مقتلعون نحن كالأشجار من مكاننا

في البيت الأول عدل الشاعــر عن ذكر المشبه وجاء بصفة المطاردة التي لا يوصف بها الإنسان فقط؛ بل تطلق على الحيوانات – أيضا- ، والتقدير هو نحن مواطنون مطاردون كالعصافير، وقد يدل حذف المشبه وعدم ذكره على مكانته كإنسان يجب أن يرتقى به و لا يكون مطاردًا ، و- أيضا - في قوله : (نركض كالكلاب) عدل الشاعر عن ذكر المشبه ، وجاء في البيت الآخر ليعدل عن ذكر وجه الشبه وترك للقارئ الذي يحس بإحساسه معرفة ذلك، ولو أن وجه الشبه نستطيع أن نستشفه من خلال هذه الصورة الرائعة التي جعل فيها الوطن مكسورا كعشبة الخريف فكلاهما ديس بالأقدام، والتشبيه الآخر مقتلعون نحن كالأشجار عدل فيه الشاعر - أيضا - عن ذكر وجه الشبه.

ثانيا- المجـــاز: المجاز(هو اللفظ الذي اريد به غير المعنى الموضوع في أصل اللغة، وهو مأخوذ من جاز هذا الموضوع إلى ذاك الموضع، وحقيقة في الانتقال من مكان إلى مكان، وكذلك الألفاظ تنتقل من محل إلى محل، وهو أولى بالاستعمال من الحقيقة في باب الفصاحة و البلاغة) [12]

والمجاز كما يراه عبد القاهر الجرجاني هو "مفعل من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه، وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بانه مجاز على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي، أو جازه مكانه الذي وضع فيه أولا" [13] . والمجاز يمنحنا قدرة على التصرف في اللغة ، وهو العدول، و للمجاز علاقات متعدّدة منها السببية والحالية وكلها علاقات درست من الناحية البلاغية، و يقول الشاعر في قصيدته (كيف؟) : [14]

كيف يا سادتي يغني المغني

بعدما خيطوا له شفتيه؟

يعدل الشاعر في هذا البيت عن ذكر المأساة التي يتعرض لها الإنسان وقد ألجموا فاه، وقد اختار الشاعر لفظة (خيطوا) لما فيها من تعذيب وتنكيل لشكم كلمة الحق وحرية الفرد. و في قوله من قصيدة البوابة: [15] .

إن رفع السلطان سيف القهر

رميت نفسي في دواة الحبر

أو أمر السياف ان يقتلني

خرجت من بوابة سرية

تمر من تحت أساس القصر

هناك دوما مخرج

من بطش فرعون... يسمى الشعر ...

لقد عدل الشاعر عن ذكر ويلات وأهوال بطش فرعون وأعوانه، ورغم ذلك يجد شاعرنا مخرجا له وهو شعره. وانظر إلى المجاز الجميل في قولة من قصيدة على القائمة السوداء : (16)

في خانة المهنة من جوازي

عبارة صغيرة صغيرة

تقول :

اني كاتب و شاعر

لقد استعار الشاعر القول للعبارة على سبيل المجاز في قوله (تقول) حيث جعل العبارة تتكلم وعدل عن ذكر من يتكلم أو كل من يقرأ هذه العبارة ، فهي بصمة لا تمحى، ومن قصيدته لماذا أكتب .. يقول نزار: (17)

أكتب ..

كي أفجر الأشياء والكتابة انفجار

أكتب ..

كي ينتصر الضوء على العتمة

و القصيدة انتصار ..

أكتب ..

كي تقرأني سنابل القمح

وكي تقرأني الأشجار

في هذه القطعة يعدل الشاعر عن ذكر ماذا يكتب أو ماذا كتب، و ذكر ما تحدثه هذ الكتابة أو ذكر قيمة هذه الكتابة ، التي ستفجر كل ما حواليه، بل إنه سينتصر الحق على الباطل ، ففي قوله فقط الانتصار، ثم إنه يكتب لتقرأه سنابل القمح، فهل السنابل تقرأ أو الأشجار تقرأ، أم أن الشاعر أراد من كلماته أن تسمع من به صمم، و العدول في هذه الحالة يفتخر فيه الشاعر بنفسه بأن يقول إن شعره ذو قيمة عالية وإنما يعلق عليه مهمة نشر الوعي في المجتمع وفي الكون. ونراه في قصيدته هجم النفط مثل ذئب علينا، يقول: (18)

هجم النفط مثل ذئب علينا

فارتمينا قتلى على نعليه

و قطعنا صلاتنا .. و اقتلعنا

يعدل الشاعر في هذه الأشطر عن ذكر ما جاء به النفط من هم للإنسان، أو امتنع عن ذكر العدو ومثّل له بالذئب، وقد ربط بين النفط وهجوم الذئاب و أعطى للنفط صفة حية فكيف للنفط أن يهجم فالهجوم من صفات الكائنات الحية، فالشاعر أراد ان يوصل لنا بأن اكتشاف النفط جعل العدو يطمع في بلادنا و ارزاقنا ومجدنا و تراثنا؛ بل طمس عروبتنا وديننا، فالعدول في هذه الحالة عمل فني يستعظم الشاعر من خلاله مخاطر اكتشاف النفط.

ثالثا- الكناية : الكناية" لفظ اطلق و أريد به لازم معنه الحقيقي مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي مع المعنى المراد ". [19]، ولا شك ان في الكناية عدول حيث إن الكناية "تعني العدول عن لفظ إلى آخر دال عليه، وأن الناس كانوا قد اعتادوا أن يكنوا، أو يعدلوا عما لا يليق ذكره إلى ما يليق". [20]، والهدف من وراء استخدام الأدباء والشعراء للكناية والعدول بها عن التعبير المباشر عما يجول في الخاطر هو التأثير في نفس القارئ و جعله يمعن في التفكير من أجل الوصول إلى المعنى الحقيقي. والكناية لها القدرة على تجسيم المعاني ووضعها في صورة حسية تبهر القارئ، والكناية تفيد

الإيجاز في التعبير، فالكلمة الواحدة تحمل في طياتها معاني كثيرة، ومن أمثلة العدول في الكناية البليغة قول نزار قباني في قصيدته التأشيرة: (21)

وقفت في الطابور

كان الناس يأكلون اللب .. والترمس ..

كانوا يطرحون البول مثل الماشية

من عهد فرعون .. إلى أيامنا

في هذه المقطع كنايات متعددة، فقوله : وقفت في الطابور وكان الناس يأكلون اللب . ، كناية عن طول الانتظار والملل الذي يعيشه المواطن في سبيل دخوله إلى أرض الوطن.

والكناية الثانية كانوا يطرحون البول .، كناية عن الاستبداد الذي يعيشه المواطنون فكأنهم في حظيرة مسجونون. والكناية الثالثة من عهد فرعون، كناية عن الظلم المستمر الخانق، وهذه الكنايات التي غير بها الشاعر أتت أكلها، وقد رسمت صورة فنية أكثر دلالة على اظهار المعنى الذي يريده. و قال من نفس القصيدة : (22)

وضابط مدجج بخمس نجمات .. و بالكراهية

الكناية في عبارة "مدجج..." وهي تدل على الكثرة والتعبئة وهي كناية عن كثرة السلاح الذي يحمله هذا الضابط وعن كمية الحقد الذي يحمله هذا الضابط و في هذه الصورة دلالة واضحة عما يعانيه المواطن من قهر ومن ظلم وعدوان وكره بدون سبب.

في مركز العذاب ، حيث الشمس لا تدور ..

و الوقت لا يدور

وهذه الكناية عن السجن الذي يشبه القبر حيث لا يرى السجين شمسا ولا يدري ما الوقت، فقد عدل الشاعر بالكناية عن ذكر لفظة السجن، ومن كناياته التي تحمل الحسرة و الألم قوله: (23)

احدودبت ظهورهم، وشاخوا

وهم يفتشون في المعاجم القديمة

عن جنة نضيرة

هذه المقطع من مآسي الإنسان وهو ينتظر حقا من حقوقه كإنسان، فاحدودبت ظهورهم وشاخوا كناية عن طول الانتظار، فهم قد كبروا بالعمر حتى اعوجت ظهورهم وأصبحوا شيوخا، و في قوله يفتشون كناية عن صعوبة نيلهم مطالبهم، وقد عدل الشاعر عن ذكر كل ذلك بهذه الكنايات الجميلة التي أدت الغرض ولا شك. ومن أشد القصائد التي أنشدها شاعرنا وهي مفعمة بالكنايات؛ قصيدة درس في الرسم، حيث قال: (24)

يضع ابني علبة ألوانه أمامي

و يطلب مني أن أرسم له عصفورا..

أغط الفرشاة باللون الرمادي

و أرسم مربعا عليه قفل.. قضبان

الكناية في اللون الرمادي وهي كناية عن واقع مظلم يعيشه الأب فلا يكاد يرى من خلاله أي عالم آخر، و مربع عليه قفل.. و قضبان، كناية عن الحالة التي يعيشها الاب فهو سجين الذكريات وما يمر به من الآم، و الاب عدل بهذه الكنايات و عبر عنها برموز توضح ما يحمله عقل الأب وما ترسمه يداه، لقد كانت عبارة مفعمة بالمعاني العميقة و المؤثرة. ويقول من قصيدته أحمر.. أحمر.. أحمر : (25)

لا تحب امرأة .. أو فاره

إن ضوء الحب أحمر

لا تضاجع حائطا أو حجرا أو مقعدا..

إن ضوء الجنس أحمر

ابق سريا.. ولا تكشف قرارتك حتى لذبابة ..

ابق أميا.. ولا تدخل شريكا في الزنى أو في الكتابة..

فالزنى في عصرنا أهون من جرم الكتابة

فكل شيء ممنوع، كلها خطوط حمراء، لا تحب، لا تضاجع، لا تكشف، لا تدخل، وغيرها من الأفعال التي سبقت بلا الناهية، وهذه كناية عن التحكم حتى في مشاعر

الانسان، في قرارته، فيما يقول، وما يكتب، بل بما يفكر، يمنع من كل شيء، لقد عبر الشاعر عن كل ما تعانيه الشعوب المقهورة المغتصبة و لهذا كانت "قصائده مغضوبا عليها".

المبحث الثالث ـ العدول في التركيب :

الحــذف: للحذف قدرة على توجيه الدلالة يمكن رصدها من خلال دراسة النص، ولابن الاثير رأي في الحذف يقــول فيه : "مــن شرط المحذوف في البلاغة أنه متى أظهر صار الكلام الى شيء غث لا يناسب ما كان عليه من الطلاوة و الحسن ". (26) والحذف ليس تلاعبا بالألفاظ يجوز فعله مرة و تركه مرة؛ بل هو حاجة ملحة يفرضها المعنى كما أنه لا يجوز أن يسوى بين الأسلوب ذي الحذف و الأسلوب ذي الذكر. (27)، وللحذف أهمية يراها أبو هلال العسكري في قوله "الايجاز قصور البلاغة على الحقيقة، و ما تجاوز مقدار الحاجة فهو فضل داخل في باب الهذر و الخطل، و هما من أعظم أدواء الكلام، و فيهما دلالة على بلادة صاحب الصناعة" (28) ، وأبو هلال يرى أن في الحذف ميزة أقوى من الذكر، وما تجاوزه من الكلام مجرد هذر وتضييع للوقت ، ويصور الزركشي الأثر النفسي للحذف عند المتلقي بقوله: "ألا ترى أن المحذوف إذا ظهر في اللفظ زال ما كان يختلج في الوهم من المراد... وكلما كان الشعور بالمحذوف أعسر كان الالتذاذ به أشد و أحسن". (29) وقد اعتمدا شاعرنا نزار قباني على أسلوب الحذف بأنواعه.

أولا ـ حذف المبتدأ : يعدل الشاعر عن ذكر المبتدأ ليكون حافزا للمتلقي على التفكير وإثارته، ويرى البلاغيون أن من أسباب حذف المبتدأ صون المسند إليه من أن يذكر باللسان لمكانته الرفيعة، أو لتحقيره بعدم ذكر اسمه، أو لإنكار لأن الخبر لا يصلح له إلا حقيقة أو ادعاء. (30) ، ومن أمثلة حذف المبتدأ، يقول الشاعر في قصيدته لماذا يسقط متعب بن تعبان في امتحان حقوق الإنسان: (31)

مواطنون.. دونما وطن

لقد حذف الشاعر المبتدأ و التقدير مواطنون نحن دونما وطن، وعدل عن ذكر المبتدأ لما لذلك من صون للنفس، وكان بليغا في عدوله، وقال في نفس القصيدة و قد تكرر الحذف: (32)

معتقلون ..

داخل النص الذي يكتبه حكامنا

معتقلون ..

داخل الدين كما فسره إمامنا

معتقلون ..

داخل الحزن، و أحلى ما بنا أحزاننا

لقد حذف الشاعر المبتدأ وهو ضمير المتكلم نحن، وعدل عن ذكره خجلا لما ير من تصغير و تحقير للإنسان من قبل الحكام، ومن الدين الذي فسره إمام الكفر، وقد تقوقع داخل احزانه و وسع – عبر العدول – حيز الاعتقال.

وهو يقول في قصيدته تقرير سري جدا.. : (33)

هل تعرفون من أنا؟

مواطن يسكن في دولة قمعستان

مواطن ...

والتقدير: مواطن أنا، فالشاعر اجاد بحذفه؛ لأنه يسخر من دولة تمتد من شواطئ القهر الى شواطئ القتل، وقد عدل بحذف المبتدأ لحفظ ماء الوجه .

و يقول في قصيدته عزف منفرد على الطبلة : (34)

الطرب الرسمي يباع على العربات

مثل السردين...

ومثل الخبز...

ومثل الشاي...

ومثل حبوب الحمل...

ومثل حبوب الضغط...

ومثل غبار السيارات

والتقدير الطرب الرسمي مثل السردين يباع على العربات، كما حذف الفعل بقوله: يباع على العربات وقد عدل بحذف المبتدأ سخرية واستهزاء بمن يطبلون.

وفي قوله من قصيدة أحمر...: (35)

لا تنم بين ذراعي زوجتك

إن زوارك عند الفجر..

موجودون تحت الكنبة...

والتقدير المغتصبون موجودون تحت الكنبة، وقد عدل بعدم ذكر المبتدأ لإحداث المفاجأة في صورة المعنى.

ثانيا- حذف الخبر : قد يحذف الخبر جوازا أو وجوبا، و نشير إلى أن مثل هذه القدرات التي يتمتع بها الفنان تكون في الحقيقة أرحب و أوسع من إمكانية تحديدها برسوم تزعم فيها ان الحذف هنى لكذا و الحذف لكذا، و لكن الامر متعلق بالمتلقي و ذوقه و قد يحس بالحذف، وقد يكون النسق اللغوي غير مشعر بالحذف لتوهم، ولكن الشعر يبقى حاملا آثاره الفنية. (36)

ويقول شاعرنا مستعينا بالعدول على استخدام حذف الخبر في قصيدته لماذا يسقط... (37)

طعامنا .. شربنا

عاداتنا .. راياتنا

صيامنا .. صلاتنا

زهورنا .. قبورنا

ففي كل هذه الجمل عدل الشاعر عن ذكر الخبر، و جعل للمتلقي تخير المآسي التي تحدث للمواطن في طعامه وشرابه و كيف طُمست عادته، فكأنه يقول :

طعامنا فاسد شرابنا علقم

عادتنا دمرت رايتنا منكوسة

صيامنا مبتور صلاتنا مقصرة

زهورنا معدومة قبورنا نبشت

ثالثا- حذف الفعل: ومن انوع الحذف في شعر نزار حذف الفعل، و حذف الفعل و الإبقاء على الفاعل أو المفعول به جار في كلام العرب ، و من أمثلة حذف الفعل قول الشاعر في قصيدته لماذا يسقط ... : (38)

نبحث عن ستارة تسترنا

و عن سكن ...

و حولنا أولادنا

...

وهم يفتشون في المعاجم القديمة

عن جنة نضيرة

عن كذبة كبيرة كبيرة

تدعى وطن

نلاحظ قدرا عاليا من التوفيق الفني في هذه الكلام، فقد عدل الشاعر عن ذكر الفعل في قوله: وعن سكن...، وتقدير نبحث عن سكن يأوينا وحولنا أولادنا. حذف الشاعر فعل (نبحث) و فعل (يأوي) ليلفت انتباه القارئ إلى أهم حق من حقوق الانسان وهو سكن يأويه و حوله أسرته، و لهذا كان العدول إجراء ملائما للمقام، كما حذف الفعل (يفتش) في قوله: عن كذبة كبيرة كبيرة يفتشون، وفي هذه التعبير حقيقة ان يفتش متعب بن تعبان في معجم عن وطن قد أصبح حلما.

و يقول في قصيدة أحمر... : (39)

لا تفكر بعصافير الوطن

و بأشجار ، و أنهار ، و أخبار الوطن

لا تفكر بالذين اغتصبوا شمس الوطن

إن سيف القمع يأتيك صباحا

في عناوين الجريدة

و تفاعيل القصيدة

وبقايا قهوتك

لقد عمد الشاعر الي حذف الفعل والتقدير: لا تفكر بأشجار أن سيف القمع يأتيك في عناوين الجريدة، حيث عدل عن ذكر (لا تفكر – يأتيك) لما في الحذف من قيمة دلالية على انتهاك الحقوق، وقد منع الانسان حتى من تفكير، بل انه محاط بالشر و القمع مسلط عليه. ثم يقول الشاعر: (40)

لا تنم بين ذراعي زاوجتك

إن زوارك عند الفجر..

موجودون تحت الكنبة...

هذه الأبيات ملئيه بالعدول فقد عدل الشاعر عن ذكر الفعل في قولة ان زوارك عند الفجر...، و التقدير سيقتحمون، و دلالة هذا الفعل الذي عدل عنه الشاعر عن ذكره يدل على وقاحة هؤلاء الزوار. كما عدل عن ذكر المبتدأ في قوله: موجودون و التقدير المغتصبون موجودون تحت الكنبة .

رابعا- حذف الفاعل و المفعول به : كما استخدم الشاعر أسلوب حذف الفاعل و المفعول به، ومن امثل حذف الفاعل قول الشاعر: (41)

لا تنم بين ذراعي زاوجتك

فقد عدل عن ذكر الفاعل لأن الموقف مؤثر. كما عدل عن ذكر الفاعل في بداية قصيدته أحمر...: (42)

لا تفكر ابدا ... فالضوء أحمر

لا تكلم أحدا ... فالضوء أحمر

والتقدير لا تفكر انت ابدا، لا تكلم انت أحدا. ويحذف المفعول به لأثبات معنى الفعل و التأكيد عليه، ومثل ذلك قول الشاعر: (43)

وحيث لا يبقى من الإنسان غير الليف و القشور

يمتد خط أحمر ...

لقد عدل الشاعر عن ذكر متمم برد بعض النعت أحمر قد يكون حالا، و التقدير يمتد خط أحمر مرعبا، و يدل ذلك على الرعب من شكل هذا الخط الأحمر الذي قد يكون دم هذه الانسان الذي لم يبق إلا هيكلا.

و يقول الشاعر مستخدما حذف المفعول به في قصيدته عزف منفرد على الطبلة: (44)

عزف منفرد على الطبلة

الحاكم يضرب بالطبلة

الطرب الرسمي يباع على العربات

مثل السردين..

مثل الخبز..

والتقدير: الطرب الرسمي يباع على العربات علنا، و دلالة هذه الحذف السخرية و التهكم على الحكام .

خامسا- حذف الصفة: ومن عناية الشاعر باستخدامه الحذف في التعبير، حذف الصفة و من امثلة ذلك قول الشاعر و قد عدل عن ذكر الصفة في : (45)

مطاردون كالعصافير على خرائط الزمن...

والتقدير... خرائط الزمن المظلم أو المجهول أو الضائع، و دلالة ذلك الحذف هو مصير ذلك الانسان المجهول و الضائع وراء حقوق الانسا

كما عدل الشاعر عن ذكر الصفة في قولة في قصيدة مع الوطن في زجاجة براندي :(46)

عندما أشتاق للوطن

أحمله معي إلى خمارة المدينة...

لقد عــدل الشاعر عن ذكر صفة المدينة، فهو يحاور الوطن، فكيف لمن ليس له وطن أن تكون له مدينة؛ لهذا عدل عن ذكر صفة المدينة، و من نفس القصيدة يقول:

أرسم الوطن على شكل سجن...

و التقدير سجن مؤبد، ومن قصيدة عزف منفرد على الطبلة يقول الشاعر: (47)

الكذب الرسمي يبث على كل الموجات...

و كلام السلطة براق جدا ...

كثياب الراقصات

لا أحد يشجو من وصفات الحكم

و أدوية السلطة...

لقد عدل الشاعر عن ذكر الصفات في قوله: الموجات ...، جدا... ، السلطة... ، و التقدير ... الموجات المبثة، جدا جدا السلطة النافذة.

ويتضح من الأمثلة السابقة مدى عناية نزار قباني باستخدامه أساليب الحذف، و هو وارد في كلام العرب ، و الواضح من خلال هذه الأمثلة ان العدول في هذا النوع من التركيب يثير في المتلقي الاعجاب و الاكتشاف والتأمل، و بالتالي يجذبه الى النص، بحيث يكون قارئا و متفاعلا في اعمال فكره من اجل التوصل الي معرفة المحذوف، وهذه يشعره بالمتعة بالقراءة و التأمل ليصل إلى ما يريد الشاعر أن يوصله للقارئ .

وهذه الأمثلة - وغيرها وهو كثير - توضح وجود ظاهرة العدول في شعر نزار قباني، و تعويله عليه مقوما اسلوبيا بارزا، فشعره زاخر بروائع العدول، وهذا اللون من الوان البلاغة يظهر اللغة الأدبية التي يستطيع من خلالها الشاعر ايصال الرسائل التي يريدها بصورة فنية معبرة.

الخاتمة:

وفي ختام هذه الورقة البحثية التي عنيت بدراسة ظاهرة العدول في شعر نزار قباني (ديوان قصائد مغضوب عليها نموذجا) كانت النتائج كالآتي:

1- العدول ظاهرة فنية يلجأ اليها الأديب بوعي منه عن طريق خرق المألوف من الكلام، لإحداث انفعال في نفس القارئ ويترك في نفسه أثرا.

2- إن القارئ لشعر نزار قباني يتأثر ويشارك الشاعر في عمله الفني، وذلك من خلال تعمقه في تحليل قصائد هذا الشاعر المبدع والوصول الى ما يريده.

3- لقد تفنن الشاعر نزار قباني في ابراز الصور البيانية من خلال التشبيهات الرائعة والمجاز والكنايات، واستطاع ان يعدل بتلك الصور الخيالية لتمكين دلالات شعره في نفس المتلقي.

4- اعتمد الشاعر نزار قباني العدول في التركيب فجعل الحذف لتوجيه الدلالة، حيث ان الحذف اقوى من الذكر .

5- لقد عمد الشاعر نزار قباني الى اختيار الألفاظ المناسبة والمعبرة عن كل ما يجول في خاطره، كما تميز شعره بدقة التصوير، وصدق التعبير.

الهوامـــــــــش :

1- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار الحديث القاهرة ط 2002 م، ج 6، مادة عدل.
2 - لسان العرب، مادة عدل .
3- ينظر : لسان العرب، مادة عدل .
4 - ينظر : لسان العرب، مادة عدل
5- الزبيـــدي ، محمد بن محمد الحسيني، العدول في البيئة التركيبة ، مجلة جامعة أم القــرى لعلوم الشريعة واللغة العربية و آدابها، ج19، ع 40، ربيع الأول 1428 هـ ، ص 549
6- بانقيب، عبدالله بن عبد الرحمن، العدول و الأداء الشعري ج3 م12، جمادى الأولى 1432 هـ 2011- ص132
7- عيد، رجاء : فلسفة البلاغة بين التقنية و التطور ، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1979م ، ص175 .
8- قباني، نزار : ديوان قصائد مغضوب عليها، ص 32 ahmed15091981@yahoo.com
9– الديوان ، ص 14.
10– الديوان ، ص 82 .
11 – الديوان ، ص 103 .
12- ينظر – ابن الاثير ، ضياء الدين : المثل السائر في ادب الكاتب و الشاعر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، بيروت ، المكتبة العصرية للطباعة ، 1420هـ ، ج1 –ص78 .
13 – الجرجاني ، عبد القاهر : اسرار البلاغة ، شرح و تعليق محمد عبد المنعم خفاجي ، المنصورة مكتبة الايمان ، ص397 – 398 .
14– الديوان ، ص4

15– الديوان ، ص7
16 – الديوان ، ص8
17 – الديوان ، ص 10 .
18– الديوان ، ص30 .
19 – الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك : الكناية و التعريض ، تحقيق عائشة حسين فريد ، مدينة العاشر من رمضان ، دار قباء، 1998 ، ص21
20 – فياض ، محمد جابر : الكناية ، جده السعودية ، دار المنارة ، ط 1 ، 1989 ، ص9
21 – الديوان ، ص83 .
22 – الديوان ، ص84.
23– الديوان ، ص92 .
24 – الديوان ، ص104
25– الديوان، ص125
26 – ابن الأثير : المثل السایر ، ج2 ص316 .
27 – ينظر : التريكي ، إبراهيم منصور : العدول في البيئة التركيبية قراءة في التراث البلاغي ، مجلة جامعة ام القرى للعلوم الشريعة و اللغة العربية و آدابه ، ج19 ، ع40 ، ربيع الأول 1428 هـ ، ص561 .
28 – العسكري ، أبو هلال : الصناعتين ، تحقيق علي محمد البجاوي و أبو الفضل إبراهيم ، بيروت المكتبة العصرية 1419 هـ ، ص 173 .
29 – الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبدالله : البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت دار الجبل 1988 م ج 3 ، ص 104 .
30 – الصعيدي ، عبد المتعال : بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح ، مكتبة الادب ، ط 17 ، 2005 ، ج1 ص70.
31 – الديوان ، ص90 .
32 – الديوان ، ص93 .
33 – الديوان ، ص20 .
34 – الديوان ، ص 116 .
35 – الديوان ، ص126 .
36 – ينظر: عيد، رجاء: فلسفة البلاغة بين التقنية و التطور ، الإسكندرية ، منشأة المعارف ، ط2 ، 1988 ، ص81 .
37 – الديوان ، ص93 .
38 – الديوان ، ص91 .
39 – الديوان ، ص126 .
40 – الديوان ، ص126 .
41 – الديوان ، ص26 .
42 – الديوان ، ص124 .
43 – الديوان ، ص85 .
44 – الديوان ، ص117 .
45– الديوان ، ص91 .
46 – الديوان ، ص110 .
47 – الديوان ، ص117 .